السياسة الخارجية
للملك « آشور ـ ناصر ـ بال » الثانى
بين عامى ٨٨٣ ـ ٨٨٠ ق٠م

دكتور/ عبد القادر خليل عبد النعيم
مدرس التاريخ القديم بكلية الآداب
جامعة المنيا

تولى الملك « آشور ـ ناصر ـ بال » الثانى الحكم فى «آشور» فى عام٨٨٣ ق٠م [١] فى أعقاب وفاة والده « توكلتى نينورتا » الثانى الذى كان قد حكم فى الفترة من ٨٩٠ حتى ٨٨٤ ق٠م٠

وكانت دولة « آشور » فى بداية القرن التاسع ق٠م تشكل مساحة كبيرة من الأرض على هيئة مثلث يمتد بين نهر دجلة والزابين (الزاب الأكبر والزاب الأصغر) ، وبين مرتفعات الجبال الواقعة فى الشمال والشمال الشرقى ، وكان معظمها يتشكل من تلال ونجاد وأراض متموجة [٢] بالاضافة الى الأراضى الخصبة التى كانت حول «اربيل» و « كركوك » ، وعلى ضفتى نهر دجلة ٠

---

(١) هناك بعض المراجع العلمية التى تحدد تاريخ ولايته بعام ٨٨٤ ق٠م ولكن أغلب هذه المراجع تحدد ولايته بعام ٨٨٣ ق٠م وأخذ الباحث بالتاريخ الأخير .

(٢) باقر (طه) مقدمة فى تاريخ الحضارات القديمة (القسم الأول) تاريخ العراق القديم ـ الطبعة الثانية ـ بغداد ١٩٥٥ ص١٦٣٠ .

واشترك فى اسم « آشور » كل من أرضها وعاصمتها ومعبودها الأكبر وسكانها الأوائل مع تحويره فى التشكيل والنطق بين كل حالة وأخرى (٣) .

أظهرت الحفائر فى أطلال مدينة « آشور » على أن الانسان هناك اختار المنطقة لسكناه لمناعتها الطبيعية ، وانها تشرف على ماحولها فهى تتمتع بموقع اقتصادى الى جانب المناعة العسكرية (٤) .

وقد لعب نهر دجلة دورا هاما فى انتشار التجارة بين «آشور» والقوى الاقتصادية والسياسية المجاورة لها، كما انتشرت بعض المراكز التجارية التى كانت بمثابة همزة الوصل بين « آشور » والمناطق الحضارية فى الشرق والغرب .

وكثيرا ماقام صراع بين سكان المناطق الصحراوية ودولة «آشور» بهدف استيطان الأراضى الخصبة الا أن دولة « آشور » كانت تقف أمام هذه المحاولات بالمرصاد (٥) .

ويبدو أن هذه الاحتكاكات كانت تمثل أولى مراحل العداء بين الأشوريين وجيرانهم البدو فى الشرق والغرب .

ويذكر « المستد » أن هذه الدولة — المكونة من عدة ممالك صغيرة هى « اسانا » و « ناميت عشتار » و « كالخ » و «نينوى» و « كالزى » و « كوتموهى » — قد استطاعت فى عهد الملك « آشور — ناصر — بال » الثانى أن تصنع العجائب .

---

(٣) صالح (عبد العزيز) الشرق الأدنى القديم ، مصر والعراق ، ج ١ القاهرة ١٩٧٣ ص ٤٩٤ .

(٤) سفر (فؤاد) «آشور» الطبعة الأولى بغداد ، ١٩٦٠ ص٣—٤ .

(5) Smith, Sidney, Early History of Assyria To 1000 B. C. London, 1928 pp. 1 — 3.

اذ أنه قد استهل حكمه بتجديد شامل فى النظم العسكرية فنجده قد كون جيشا جديدا ومتطورا شكل فيه سلاح المشاة من الجنود الأشوريين بينما اعتمد سلاح العربات — الى حد كبير — على فرسان من الحلفاء وعن طريق هذين السلاحين انبثق فن حصار المدن والذى تطلب تزويد الجيش بآلات حربية تشبه الدبابة فى الجيوش الحديثة (٦) .

وذكر « طارق مظلوم » ان هذه الآلات الحربية قد بدأ استخدامها فى عهد « آشور — ناصر — بال » الثانى ولم تظهر على الجدران قبل عهده (٧) كما ذكر أن تصميم هذه الآلات اعتمد أساسا على معول لهدم الأسوار وهو أشبه مايكون بالمدفع ومثبت فى هيكل مغطى بمواد مختلفة وقد وضع هيكلها بأكمله فوق عجلات تراوح عددها فى القرن التاسع ق.م بين أربع أوست عجلات ولكن بعد ذلك اقتصر عددها على أربع عجلات فقط . ومن عهد هذا الملك لدينا مثالان من أدوات الحصار الآشورية (٨) .

وما ذكره « طارق مظلوم » عن بدء ظهور أدوات الحصار الآشورية فى عهد الملك « آشور — ناصر — بال » الثانى انما يعبر عن أن أعداء الدولة الآشورية قد ابتكروا أنواعا من الحصون والأسوار تطلب أمر تحطيمها صنع مثل هذه الآلات لنقب أسوار المدن وجدران الحصون وربما أخفق من سبقه من الملوك فى احكام الحصار حول مدن الأعداء . الأمر الذى كان يطيل أمد الاستيلاء عليها ، وكان

---

(6) Olmstead, A. T. History of Assyr'ya, New York, London, 1923 p. 81.

(٧) انظر اللوحة الخاصة بهذه الآلة العسكرية فى نهاية الدراسة .

(8) Madhloum ; T. Assyrian Siege — Engines. in Sumer, A Journal of Archaelogy and History in Iraq, vol. XXI, 1965 p. 9 f.

لصنع هـذه الآلات فى عهد « آشور ـ ناصر ـ بال » الثانى ماجعله يحقق انتصارات سريعة وأن يوجه ضربات مؤثرة الى معسكرات أعدائه .

ومن ناحية أخرى فان أمر وجودها فى عهده يعبر عن مرحلةهامة فى السياسة الخارجية للدولة الآشورية اذ يبدو أنها قد أعدت نفسها لحروب طويلة طاحنة بينها وبين جيرانها سيما أنها فى العصر الآشورى الحديث كانت تملك من الرجال ، ومن المال ماتحتاج اليه .

لقد ضاق الآشوريون بحدودهم الضيقة الى أن لاحت الفرصة أمامهم فى العصر الآشورى الحديث اذ ضغط عليها الآراميون ضغطا شديدا وشكلوا عليها خطرا كبيرا وكان لابد من الاصطدام بهم لازاحتهم عن حدودها وقد تطلب ذلك جهودا جبارة من ملوك العصر الآشورى الحديث اذ أننا نلاحظ أنه منذ بداية عهد « آشور دان » (٩٣٢ ـ ٩١٢) ق.م أن الآشوريين ثارت عزائمهم فى عهده واتجهت جيوشهم ضد الآراميين شرقا وغربا ، ثم تابعت طريقها فى عهد ولده « أدد نيارى » الثانى الذى حكم من (٩١١ ـ ٨٩٠) ق.م ، وقد وصفت النصوص الآشورية الآراميين فى ذلك الوقت « بأنهم أهل برارى » (٩) .

وبعهد « أدد نيارى » الثانى بدأ عصر جديد طويل عرف اصطلاحا باسم العصر الآشورى الحديث ، أو عصر الاتساع الآشورى الكبير وقد استمر نحو ثلاثة قرون من ٩١١ الى ٩١٢ ق.م وشهد مرحلتين عظيمتين من مراحل القوة والازدهار والتوسع توسطتهما فترة ركود .

---

(٩) صالح (عبد العزيز) الشرق الأدنى القديم ، جـ١ مصر والعراق ١٩٧٣ ص ٥٠٨ .

A. Dupent — Sommer, Les Aruméens, Paris, 1949, p. 18, 81.

المرحلة الأولى بدأها « أدد نيرارى » الثانى ولم يتجه فيها الى فتوح بعيدة وانما أراد تثبيت حدود دولتـــه ، واسترجاع الاشراف الفعلى على تخومها الغربية حول نهرى الفرات والخابور [١٠] .

وكانت سياسة « توكلتى نينورتا » الثـــانى وحكم من (٨٩٠ ــ ٨٨٤) ق.م والذى تميزت حولياته بتفاصيلها اليومية تماثل ســـياسة سلفه فى ارهابه للآراميين فكان من ضيحاياهم فى عهده قبيـــلة بيت « زمانى » التى اتخذت « أميدى » عاصـــمة لها وهى « ديار بكر » الحاليـــة [١١] .

ومنذ ذلك الحين اتجهت سياسة « آشور » الى توطيد سلطانها على حدودها الغربية ، واخضاع القبائل الجبلية فى الشمال الشرقى، ومحاولة السيطرة الكاملة على الطرق التجارية والحربية التى تتجـــه غربا الى الشام حيث المجد ووفرة المنتجات وحيث المخارج البحرية ، وشمالا بغرب جبـــال طوروس وآسيا الصغرى مع محاولة اضـــعاف الفروع الآرامية الغربية فى شرق سوريا وفى أواسطها وامتد نفوذها الى موانيها البحرية [١٢] .

وتميز من القـــائمين على تنفيذ هذه السياسة فى « آشـــور » ملكها « آشور ــ ناصر ــ بال » الثانى الذىحكم من (٨٨٣ ــ ٨٥٩) ق.م وهو يعد أعظم شخصية ضـــارية وضاربة فى المرحلة الأولى من عصر « آشور » الحديث [١٣] .

وهذا هو موضوع بحثنا فى تتبع حروب هـــذا الملك وما وصلت الامبراطورية الآشورية اليه فى عهده من رقى وازدهار وسوف يقصر

---

(١٠) صالح (عبد العزيز) المرجع السابق ، ص ٥٠٨ .
(١١) المرجع السابق .
(١٢) صالح (عبد العزيز) المرجعالسابق، ١٩٧٣ ص٥٠٨ــ٥٠٩ .
(١٣) المرجع نفسه .

الباحث حديثـــه فى هـــذا المقـــال عن حروبه فى الفترة من ٨٨٣ الى عام ٨٨٠ ق٠م ٠

لقد شغل هـــذا الملك حكمه بعـــدد من الحملات الحربيـــة وذلك لتوطيد السلطان الذى ورثه عن أبيه ٠ وتعتبر حملاته خلال الفترة التى سيتناولها الباحث من الحملات الهامة فى تاريخ الدولة الآشـــورية ٠ هذا وقـــد عثر على أخبـــار حملاته مدونة على ألواح فى معبد الاله « نينورتا » فى مدينـــة « كالخ » وقـــد فقد جانب كبير منهـــا ولكن لحسن الحظ أن مابقى يكفى ليلقى ضوءا على الجهود التى بذلها (١٤)٠

وقد رأى « آشور ــ ناصر ــ بال » الثانى أن من واجبه اكمال المسيرة التى بدأها والده « توكلتى نينورتا » الثانى الذى بدأت فى عهده الفتوحات الخارجيـــة ٠ وقد كان ابنه بحق خـــير من حمل لواء الجهاد والدفاع عن « آشور » خلال فترة حكمه وقد كان هدفه يتمثل فى استكمال الفتوحات الخارجية ، والقيام بضم المقاطعـــات القبليـــة المتاخمة للحدود الآشورية من ناحية الشرق والغرب والشمال ٠

وتعبر حوليـــات هـــذا الملك ــ التى أشرنا اليهـــا آنفـــا ــ عن قسوة وشراسة بالغة أثنـــاء قيامه بمهاجمة الأعـــداء ٠ ومن دراســـة الحملات التى قام بهـــا والحروب التى خاضها نستشف من خلالهـــا عظمة الأعمـــال العسكرية التى قام بهـــا وكلها أعمال أرست جـــذور السيادة الآشورية لمدة تربو على قرنين من الزمان ٠

ففى الجهة الشرقية نجد الملك « آشور ــ ناصر ــ بال » الثانى كان عليه تنفيذ خطتين :

أولا ــ ممارسة السيادة المركزية على المقاطعات المقامة فعلا ٠

---

(14) Luckenbill, D. D. Ancient Records of Assyrya and Babylonia, vol. I, Chicago 1926, p. 141.

ثانيا — أن تعترف القبـائل المتاخمة للحدود الآشورية بسيادته عليهـا [١٥] .

ومن أجل تنفيـذ هدفه نجده بعد اعتلائه العرش مباشرة اتجه عبر التلال الواقعة شرق نهر دجلة مصطحبا معه أعدادا صـغيرة من القوات العسكرية اذ أن القتـال فى هذه المرحلة كان لايتطلب أعدادا كبيرة بسبب وعورة الطبيعـة التى أوجدت صـعابا جمـة للتحركات العسكرية فيها . ونجد أن الجيش الآشورى قـد نظم فى وحـدات عسكرية وفقا لطبيعـة أسلحته . اذ أنه قد توصـل — كما أسلفنا — لمعرفة سلاح أقرب مايكون الى الدبابات، وقد ذكر عنها «سميث» أنه لم يتوصل الى معرفتها أى شعب آخر من شعوب المنطقة [١٦] .

ولعلنـا نضـيف الى ذلك أنه لم تظهر مناظرها على الجـدران الآشورية قبل عهد « آشور — ناصر — بال » الثانى ولكن من ناحية معرفة شـعوب المنطقـة لها من عدمه فقـد نختلف مع ماذهب اليـه « سميث » فى وجهة نظره السابقـة اذ توجـد وثائق من « مارى » و « بوغاز كوى » توضح أنهـا كانت مستخدمة منذ القرن الثـامن عشر ق.م [١٧] .

وقد استهل الملك حوليـاته بتمجيد الآلهة التى ساندته وآزرته فى حومة الوغى ، وأيدته — على حد المعتقد الآشـورى — بنصر من عندها فيقول موجها حديثـه الى الاله : « نينورتا » حيث ذكر عنـه

---

(15) Smith, M. A. Sidney : Sidney : The Foundation of the Assyrian Empire, in C.A.H. vol. III, London, 1965 p. 12.

(16) Smth, Sidney : The Foundation of the Assyrian Empire, 12.

(17) Madhloum, Tariq : op cit., p. 9 Note No. 1. See also, Olmstead, AT. History of Assyria, New York — London, 1923 p. 81.

أنه « القوى ، المتين ، سيد الآلهـة ، الشجاع ، العمـلاق ، الحق ، المقدام فى حومة الوغى ، ••• أنا « آشور — ناصر — بال » ، الملك القوى ،ملك الكون ، الذى لانظير له ، ملك أركان العـالم الأربعـة ، شمس النـاس جميعـا ، محبوب انليل ونينورتا •• عابد الآلهـة العظيمة ••• » (١٨) •

ثم يأتى بعد تمجيد الآلهة فقرة تتضمن قيام الملك بتوجيه جيوشه ناحيـة الشرق أولا بينما أننـا سوف نجد أن أخطر الجبهـات كانت فى الغرب ضـد العناصر الآرامية • وربما قصد الملك اخضاع الشرق أولا لسببين :

أولا — أن تكون الحدود الشرقية أضعف وقد أراد بذلك تحقيق انتصارات سريعة فيها •

ثانيا — ربما يكون قـد أراد أن يسيطر على الشرق لتأمين ظهره ويتفرغ لمواجهـة الآراميين فى الغرب ، ومن هنـا تـكون الأهميـة الاستراتيجية لغزو الشرق أولا •

وذكر الملك عن هذه الحملة ، ان قـواته عبرت جبـالا شـديدة الانحدار ، وسلكت مسالك وعرة ، لم يسـبق اعـدادها لمرور القوات والعربات وأطلقت الحوليـات على هذه المنطقة الواقعة شرق «آشور» مباشرة اسم أرض « توم » Tumme وكانت تقع فى قلب الجبل ويطلق على قلعتها اسم « جوب » Gubbe وقـد فـر مدافعوها الى جبل شـديد الانحدار وكانت قمتـه أشـبه ماتكون بسن خنجر حـديدى ولعظم ارتفـاعها كانت الطيور لاتستطيع الارتفاع اليها أو حتى بلوغ منتصفها (١٩) وأقام الفـارون تحصيناتهم عند قمته الا أن جنود الملك

(18) Luckenbill, D. D. op. cit., p. 141 pass. 440.

(١٩) يبدو أن هـذا التشبيه مبالغ فيه الا أنه فى ذات الوقت لايخلو من حقيقة أن الجبل كان شديد الارتفاع .

تمكنوا من الوصـــول اليهم خلال ثلاثة أيام وصـــعد الملك على قدميه ودمر معسكرهم وشتت شملهم وصـــبغ الجبل بـــدمائهم • وللأسف لايوجد من بين ماتبقى من حوليات مايحدد موقع هذه المنطقة بالضبط سوى ذكر النص أنها كانت الى شرق « آشور » (٢٠) •

وقد استولى الملك خلال هذه الحملة على جميع المـــدن الحصينة الواقعة فى نطاق أرض « توم » ويذكر الملك عبارة هامة وهى أن هذه المناطق لم يسبقه اليها أحد من أجداده ، وأن جنوده كانوا يمشطون الجبل وقلوبهم مفعمة بالشجاعة ، وقد استطاع قتل ٢٠٠ من مقاتليهم بالسيف وأنه دمر المدن وخربها وبالنار أحرقها (٢١) •

ثم تتجه جيوشه بعد ذلك الى شمال « آشور » الى منطقـــــة « كيرورى » Kirruri وهى منطقة كانت تابعة للسيادة الآشورية وكان عليها امداد الملك بالخيل والبغال والماشية والضأن وأوانى البرنز والخمر وأثنـــاء تواجد الملك فى « كيرورى » نجـــد أن « جيلزان » Gilzan الواقعة شمال « آشـــور » وكذلك « هوبوشكيا » الواقعة الى الشمال الغربى من « آشـــور » قامتـــا باحضـــار الخيل والذهب والفضة والقصـــدير والنحاس والأوانى النحاســـية الى الملك وهـــذه الأشياء تمثل الجزية المفروضـــة عليهما (٢٢) ويبـــدو أن قيـــام هاتين المنطقتين بدفع الجزية للملك بدون قتال أنهما لم تظهرا العداء فى هذه الأثناء للملك الآشورى (٢٣) •

ثم تذكر النصوص قيـــام « آشـــور ـــ ناصر ـــ بال » الثـــانى

---

(20) Olmstead, op. cit.. p. 84.

(21) Luckenbill, D.D op. cit. vol. I p. 141 pass 440

(٢٢) عن « كيرورى » و « جيلزان » و «هوبوشكيا» أنظر الخريطة فى نهـــاية المقال .

(23) Olmstead, op. cit., p. 85.

يعبور ممر يطلق عليه اسم ممر « هولون » متجها الى أرض « كيرهى » Kirhi وتقع الى الغرب من «هوبوشكيا» فى شمال غرب «آشور» وفى هـذه المنطقة واجه الملك مقاومة حقيقية الا أنه تمكن من احتلال مدينـة « نيشتون » عاصمة منطقـة « كيرهى » وفر سكانها الى قمة جبل مرتفع يواجـه مدينتهم ، ولشدة ارتفاع الجبل شبهه الملك بأنه مثل سحابة فى السماء الا أن جنود الملك تمكنوا من تسلقـه وتعقبوا الفارين • ويذكر الملك كذلك أن أحدا ممن سبقوه لم يطأ هذه الجهات ثم بعد ذلك يتنـاول النص كيف أن الملك أعدم ٢٦٠ [٢٤] من مقاتليهم وتم قطع رءوسهم واستخدمت جثثهم كلبنات فى بنـاء الأعمـدة ، واستولى على ممتلكاتهم أما عن « بوبو » بن « بويا » حاكم مدينة « نيشتون » فقـد أخذ الى مدينة « اربلا » Arbela [٢٥] الواقعـة شرق نينوى وهناك سلخ جلده حيـا ونشر على جدران المدينـة ، ثم أقام الملك تمثالا لنفسه وسجل انتصاراته عليه [٢٦] •

ويذكر « سميث » : ان حاكم « نيشتون » هـذا قـد قـاوم مقاومة مستميتة فكان جزاؤه أن سلخ حيـا ، وكما يبـدو لنـا من الحوليات أن هـذا يعد أول سلخ لحاكم وهو على قيد الحياة • وتجدر الاشارة الى أن سياسة العنف هذه التى سلكها الملك مع أعـدائه كانت لهـا نتـائج ايجابيـة نحو سيطرته على أماكن فتـوحاته لفترات طـويلة [٢٧] •

يلاحظ أن العمليـات العسـكرية « لآشـور ـ ناصر ـ بال » الثانى قد بدأت فى الشرق ثم اتجهت شمالا حيث قضى على عصـيان

---

(24) Luckinbell, op. cit., p. 143 pass 441

(٢٥) وهى اربيل الحاليـة .

(26) Luckenbill, op. cit., p. 143 pass 441

(27) Smith, S. The Foundation of The Assyrian Empire, p. 12.

منطقـــة « كيرهى » وتابع عمليـــاته فى الشمال حيث اســـتولى على المـــدن الواقعـــــة جنوب جبـــل « نيبور » الواقع الى الجنـــوب من « هوبوشكيا » وأعمل فى سكانها الذبح ودمـــر مدنهم أما الذين فروا منهم حضروا وقبلوا أقدامه وفرضت الجزية عليهم (٢٨) .

ثم اتجه بعد ذلك جنوبا الى منطقـــة هامة وهى « كوتموهى » جنوب جبل « نيبور » وقامت بدفع الجزية التى تضمنت أوانى نحاسية وماشية وأغناما ونبيذا .

تشير نصوص الحوليـــات بعـــد ذلك الى أن الملك « آشـــور ـــ ناصر ـــ بال » الثانى كان يرغب من وراء حروبه السالفـــة الذكر فى الشرق والشمال الى عزل منطقة « كاشيارى » Kashiari الجبلية الا أن هـــذه الخطة لم يقـــدر لها الاستمرار اذ أن الآراميين القاطنين على نهر الخابور الأسفل قـــد أعلنوا العصيان على « آشور » ومادمنا سوف نتحدث عن الآراميين فتجدر الاشارة الى الدويلات التى أقاموها عند نهر الخابور الأسفل وعلى أخصب منطقة فى هذا الجزء .

فقد كانت « ديكانى » Dikanni ـــ احدى هذه الدويلات ـــ تقع على الضفة الغربيـــة لنهر الخابور بينما الى الجنوب منهـــا وعلى ضفة الخابور الشرقية قامت دويلة « حالوب » Halupe وكانت تعتبر أهم دويلة فى هذه المنطقة الواقعة الى الغرب من « آشور » ولا تبعد كثيرا عن نقطة التقاء نهر الخابور بنهر الفرات .

وعلى هذا الجانب الغربى ـــ أيام ضعف « آشـــور » ـــ قامت مملكة آراميـــة كبيرة لها وزنهـــا ، واعتبرت الـــوريث الفعلى لدولة

---

(28) Luckenbill, DD. Ancient Records of Assyria and Babylonia. p. 143 pass 442.

« ميتانى » اذ أنهـا امتدت من انحنـاءة الفرات شمالا حتى البـالخ جنوبا وهى دويلة « أدينى » [٢٩] .

وفى الشمال الغربى من « آشور » قامت دويلة بيت « زمانى » التى أخضعها « آشور ـ ناصر ـ بال » الثانى [٣٠] .

هذا عن الممالك الآرامية التى قدر « لآشور » أن تصطدم بهـا نعود الآن لمواصلة حديثنا عن الثورة التى قامت ضد أمير « حالوب » المـدعو « حاماتاى » الذى أظهر مودته « لآشـور » فى عهـد الملك « توتكلتى نينورتا » الثـانى وهذه الثورة هى التى أوقفت خطة الملك لعزل منطقـة كشيارى الوعرة حيث يذكر لنـا فى حولياته أنه بينما كان فى « كوتموهى » وردت اليه أنبـاء عن مصرع « حاماتاى » [٣١] حاكم « حالوب » وأن الذى نفذ ذلك هو المدعو « أهيا بابا » اللقيط (يذكر عنه النص « أنه ليس ابنا لأحد ») ربما يقصد بذلك أنه مجهول النسب [٣٢] وقد حرضت دويلة « أدينى » لهذه المؤامرة المدن الواقعة على نهر الخابور لكى تنضم الى الآراميين [٣٣] .

لقد كانت الثورة فى مدينة «سورو» Suru التابعة «لحالوب» وعلى اثر أنبـاء الثورة يقول « آشور ـ ناصر ـ بال » الثانى : انه تقدم جنوبا بمحازاة نهر الخابور ومعه عرباته الحربيـة ويذكر لنـا أسماء بعض المدن التى حصل منهـا على الجزية أثنـاء تقـدمه مثل حصوله على جزية مدينـة « قطنـة » وكانت عبـارة عن فضة وذهب

---

(29) Olmstead, History of Assyria, pp. 85 — 86.

(٣٠) أنظر موقع « دويلة » زمانى على الخريطة المرفقة بالبحث .

(31) Luckenbill, D.D. op. cit, p. 144 pass 443

(32) Luckenbill, D.D. op. cit, p. 443

(33) Smith, S. op cit, p. 12.

وقصدير وأوانى نحاسية وبعض الملابس الصوفية والكتانية ثم اقترب من مدينة « سورو » وقد تملك الرعب أهلها وعلى اثر ذلك تقدم اليه رؤساء المدينة ووجهاؤها من أجل أن يمنحهم نسيم الحياة • وقبلوا أقدام الملك قائلين (٣٤) :

« ••• ان كانت تلك مشيئتك فاذبحنا أو ان شئت فدعنا أحياء • افعل بنا مايتوق اليه قلبك ••• وبشجاعة قلبى وبحد سيفى عصفت بالمدينة فأمسكوا بكافة العصاة وسلموهم الى » (٣٥) •

وبعد أن دخل المدينة سلب كل مافيها من فضة وذهب ، وسبى نساء « أهيا بابا » اللقيط وجميع الثائرين •

ثم يتحدث النص عن وسائل التعذيب التى اتبعها « آشور — ناصر — بال » الثانى ضد أعدائه فذكر أن الملك أقام عليهم من قبله حاكما يدعى « ازى — ايلو » وأقام عمودا أمام المدينة وسلخ جلود جميع الرؤساء الذين دبروا الثورة ، وتم تغطية العمود بجلودهم ، كما وضع أجساد بعضهم (كلبنات) داخل العمود ، ووضع آخرين فوق الخوازين التى ثبتت فى أعلى العمود ، وآخرين وضعوا على خوازيق نصبت حوله ، وسلخ العديد منهم ونشرت جلودهم على الأسوار •

وقام الملك باصطحاب « أهيا بابا » الى « نينوى » وقام بسلخه ونشر جلده على أسوارها • وكما يذكر الملك أنه فرض نفوذه على أرض « لاك » Laqe كما تسلم جزية « حايانى » حاكم « هندانى » Hindani الواقعة جنوب أرض « لاك » ثم قام

---

(34) Olmstad. op. cit, p. 87.

(٣٥) رو (جورج) العراق القديم ترجمةوتعليق حسين علوانحسين ومراجعة د. فاضل عبد الواحد على — بغداد ١٩٨٤ ص ٣٨٩ •

الملك بعمل تمثـــال لنفسه سجل عليه أخبـــار شـــجاعته وانتصـــاراته وأقامه فى منتصف قصر « أهيـــا بابا » كما أقام لوحات عنـــد بوابة المدينة تروى أخبار انتصاراته (٣٦) •

على ضوء ما تقـــدم وما رأينـــاه من انتصارات على يد « آشور — ناصر — بال » الثانى نجد أن ضراوة المقاومة من جانب الأعداء هو مادفعه الى التنكيل بهم وان العـــامل الاقتصادى قد لعب دورا هاما كذلك فى هذه الفتوحات حيث عاد على الآشوريين بالخير الوفير فتوفر لديهم المال والعتـــاد لمواصلة هذه الحروب الباهظة التكاليف • كمـــا تجدر الاشارة الى أن كل ماسبق من حروب انما تم فى العـــام الأول من حكمه •

أما فى عامه الثـــانى نجده قـــد اتجـــه شمال غرب « آشـــور للقضاء على من ثاروا ضده فى « هلزى — لوهـــا » Hulzi — Luha ومنطقة تلال « كشيارى » وتجدر الاشـــارة الى أن الملك « شلمنصر الأول » (١٢٦٦ — ١٢٤٣) ق•م كان قد أسكن بعض الآشوريين فى « هلزى — لوها » وبرغم أنهم من أصـــل آشـــورى الا أن حاكمهم « هولاى » حمل لواء العصـــيان ، بل وذهب أبعـــد من ذلك وهاجم احـــدى المـــدن التـــابعة « لآشـــور » وهى مدينة « دامداموســـا » Damdamusa بغرض الاستيلاء عليها واستعان الملك بآلهتـــه وقام بقيـــادة جيوشه وعرباته حتى وصل الى منطقة « ايزالا » Isalla وتسلم جزيتها وكانت عبارة عن قطعـــان من الماشية والنبيـــذ وتذكر الحوليات أنه عصـــف بمدينـــة « دامداموســـا » وألقى القبض على « هولاى » وسلخ جلده ونشره على جـــدران « دامداموسا » وأعمل السيف فى أتباعه وذبح منهم ٦٠٠ وتم أسر ٣٠٠٠ وأحرقهم ولم يدع أحدا منهم على قيد الحياة •

---

(36) Luckenbill, op. cit, pp. 144 — 145 pass. 443.

ثم عصف الملك بمدينـــة « تيل » Tille واستولى على ماشية سكانها وقام بتعـــذيبهم فقطع أيادى بعضهم وجـــدع أنوف البعض الآخر ، وسلم آذان فريقا آخر كما سمل أعين البعض ، وأقام بعضهم كلبنات فى أحد الأعمـــدة وعلق جمـــاجم بعضهم فى فروع الأشجار حول المدينة ، وجعل المدينة أثرا بعد عين (٣٧) .

ويبدو أن مدينة « توشهان » Tushhan الواقعـــة الى الشمال من منطقـــة « كاشيارى » قـــد تعاطفت مع « هولاى » فدارت عليها الدوائر حيث يذكر النص أن الملك دمر سورها القـــديم وأتى به حتى أساساته ، وأقام غيره على قوة ومتـــانة ، وبنى داخل أسوارها قصرا خاصا به ، وأقام لنفسه تمثالا نقش عليه أعمـــاله المجيدة كما أحضر الملك فقراء من الآشوريين — الذين هاجروا بسبب الفاقة — وأسكنهم فى « توشهان » (٣٨) .

ويذكر « أولمستد » أنه جعل « توشهان » — الكرخ حاليا — مقرا لعملياته الحربية ضد شعوب الشمال فى حملاته المقبلة .

وأثنـــاء اقامة الملك فى « توشهان » قام باســـتقبال الوفود من جميع أرض « نايرى » ومن الآراميين . وبعد عودة الملك من حروبه المظفرة هذه تلقى الجزية والولاء من « هانيجالبات » Hanigalbat الواقعة فى شمال غرب « آشور » وتقع الى شمالها امارة «نصيبينا» وهى احدى المقاطعات الحيثية القديمة .

وفى عام ٨٨١ ق.م تقريبـــا ثار مواطنوا « زاموا » فى شرق « آشور » وفكر المتآمرون فى غزو « آشور » ذاتها فشن الملك على

---

(37) Luckenubill,pp . 146 — 147 pass. 445.

(38) CF. Olmstead, op. cit., pp. 87 — 88.

الثوار أربع حمـلات قصـيرة كانت كفيلة باعادتهم الى صـوابهم ، وطارد الملك الفارين داخل المرتفعات •

وفى عام ٨٨٠ ق•م ترددت المقـاطعات الشرقية فى دفع الجزية للملك فى فترة انشغاله باعادة تنظيم مقاطعـة « زاموا » وكان ذلك أمرا مشجعا لمدينـة « اتليلا » للتمرد على الملك ولـكنه أعادها الى سيادته • ويبـدو أن المنطقـة كان بها لفيف من الصناع المهرة الأمر الذى شجع الملك على أن يرسل عددا منهم الى مدينتـه وعاصـمته الجميلة « كالخ » (٣٩) •

وتجدر الاشـارة الى أن الملك نجح فى الاسـتيلاء على جبـل « كينيبا » Kinepa الذى يبلغ ارتفـاع قمته ٢٠٠٠ قـدم • الأمر الذى أشعر الملك بسرور عظيم اذ ذكر أنه أول من وصل اليه ، وكان الآشوريون يعتقـدون أنه الجبل الذى هبطت عليه سـفينة « نوح » عليه السلام بعد الطوفان •

هذا ويبدو أن الملك قد اتخذ من «أركادى» Arkadi مقرا للقيام بعدة هجمات عسكرية فى جميع الأراضى المجاورة وأطلق عليها اسـما جـديدا وهو « توكلتى ـ آشور ـ أسبات » ومعنـاه (استوليت عليها بقوة الاله آشور) واذا نظرنا الى الخريطة المرفقة نجد أنهـا تقع الى شمال « زاموا » والى الجنوب الغربى من « كينيبا » فى شرق « آشـور » (٤٠) •

---

(39) Smith, Sidney . op. cit, pp. 12 — 13.

(40) Olmstead, op. cit, pp. 88 — 89 .

« زاموا » عبارة عن مقاطعـة فى جبال زاجروس فى شرق ايران • راجع :

Beek, Martin A. Atlas of Mesopetamia, Trans. by Rowley, H.H. Neelson, p. 161.

نتائج الدراسة :

يلاحظ الباحث أن الملك « آشور ـ ناصر ـ بال » الثانى قد سار فى عملياته العسكرية مبتدءا من الشرق متجها بعد ذلك الى شمال شرق « آشور » عند منطقة « كيروري » ، ثم نجده يتجه بعد ذلك الى « كيرهى » وتعبر النصوص أنه كان يقاتل فى مناطق شديدة الوعورة • الأمر الذى يعطينا انطباعا عن شجاعته واقدامه فى بناء الامبراطورية الآشورية فى النصف الأول من القرن التاسع ق•م ، ثم نجده يتجه الى كوتموهى « جنوب جبل نيبور » ، الأمر الذى يعطينا انطباعا أنه كان يقصد من وراء خطته هذه الى عزل منطقة «كاشيارى» الجبلية •

ثم ينتقل بعملياته بعد ذلك الى الحدود الغربية « لآشور » مصطدما بالعناصر الآرامية وقد حقق نجاحا كبيرا فى ضرب تجمعات الآراميين فى الغرب •

من ذلك نرى أن « آشور ـ ناصر ـ بال » الثانى كان يسير فى حروبه وفق خطة معينة ، ولا سيما أننا سوف نرى توجهه فى حروبه المقبلة غربا حتى يغمس أسلحته فى بحر أمورو وهو البحر المتوسط المواجه لسواحل لبنان •

نلاحظ كذلك أن الملك الآشورى استعان واسترضى الآلهة من أجل تحقيق النصر على الأعداء ، وفى ذلك تتشابه العقيدة العراقية القديمة مع الديانة المصرية القديمة حيث كان الملوك يرجعون انتصاراتهم فى ميادين القتال الى تأييد الاله «آمون» اله الامبراطور•

أمر أخير ينبغى أن نشير اليه وهو وسائل التعذيب التى لجأ اليها هذا الملك فى عقاب أعدائه وقد انفرد الآشوريون بهذه الوسائل

ولم نر شبيها لها على الآثار المصرية القديمة فنجد فى آشور التعذيب بصلم الأذن وجدع الأنوف وسمل الأعين ، ووضع الأعداء فوق الخوازيق — وهى وسائل عنيفة — ربما كان الدافع اليها شدة مقاومة الأعداء فرغب الملك فى أن يحقق أكبر قدر من الارهاب فى نفوس أعدائه حتى يضمن عدم قيامهم بثورات خلال عهده •

يلاحظ الباحث كذلك أن الملك خلال حروبه السابقة قد تجنب الحرب جنوبا مع بابل ربما ليجعل عملياته مؤثرة فى وسط الفرات وفى الشمال والغرب • هذا واننا نجد « آشور » بلا شك قد حققت ثراءا كبيرا من وراء الاستيلاء على منتجات المدن المقهورة وقيامها — الى جانب ذلك — بتحصيل الجزية الأمر الذى مكنها بدون شك من مواصلة عملياتها الحربية بنجاح •

وبعد هل استقامت الأمور « لآشور — ناصر — بال » الثانى بعد هذا العناء ؟ فهذا موضوع دراسة مستقبلية انشاء الله •

ملحق الوثائق :

اللوحة رقم (١) تمثل منظرا للملك « آشـــور ــ ناصر ــ بال » الثـــانى •

اللوحة رقم (٢) منظر يمثل الملك وهو يهـــاجم الأعـــداء بعربانته الربيـــــة •

اللوحة رقم (٣) تمثل أدوات الحصار الآشورية التى استخدمت فى عهد « آشور ــ ناصر ــ بال » الثانى فى العراق القديم •

الخـــرائط :

(١) خريطة للشرق الأدنى القديم موضحا عليها المدن القديمة التى دخلتها جيوش الملك « آشور ــ ناصر ــ بال » الثانى •

الملك « آشور ــ ناصر ــ بال » الثــانى

عن : بارو (أندريه) بلاد آشــور ، ترجمــة وتعليق دكتور عيسى سلمان وسليم طــه التكريتى ــ الجمهورية العراقيــة ، سلسلة الــكتب المترجمــة ١٩٨٠ ص ٣٣ .

منظر من مدينة « كالخ » (نمرود) « آشور ـــ ناصر ـــ بال » الثانى يقود سلاح العربات فى ميدان القتال .
عن : بارو (أندريه) المرجع السابق ، منظر رقم ١٨ ص ٣٠ .

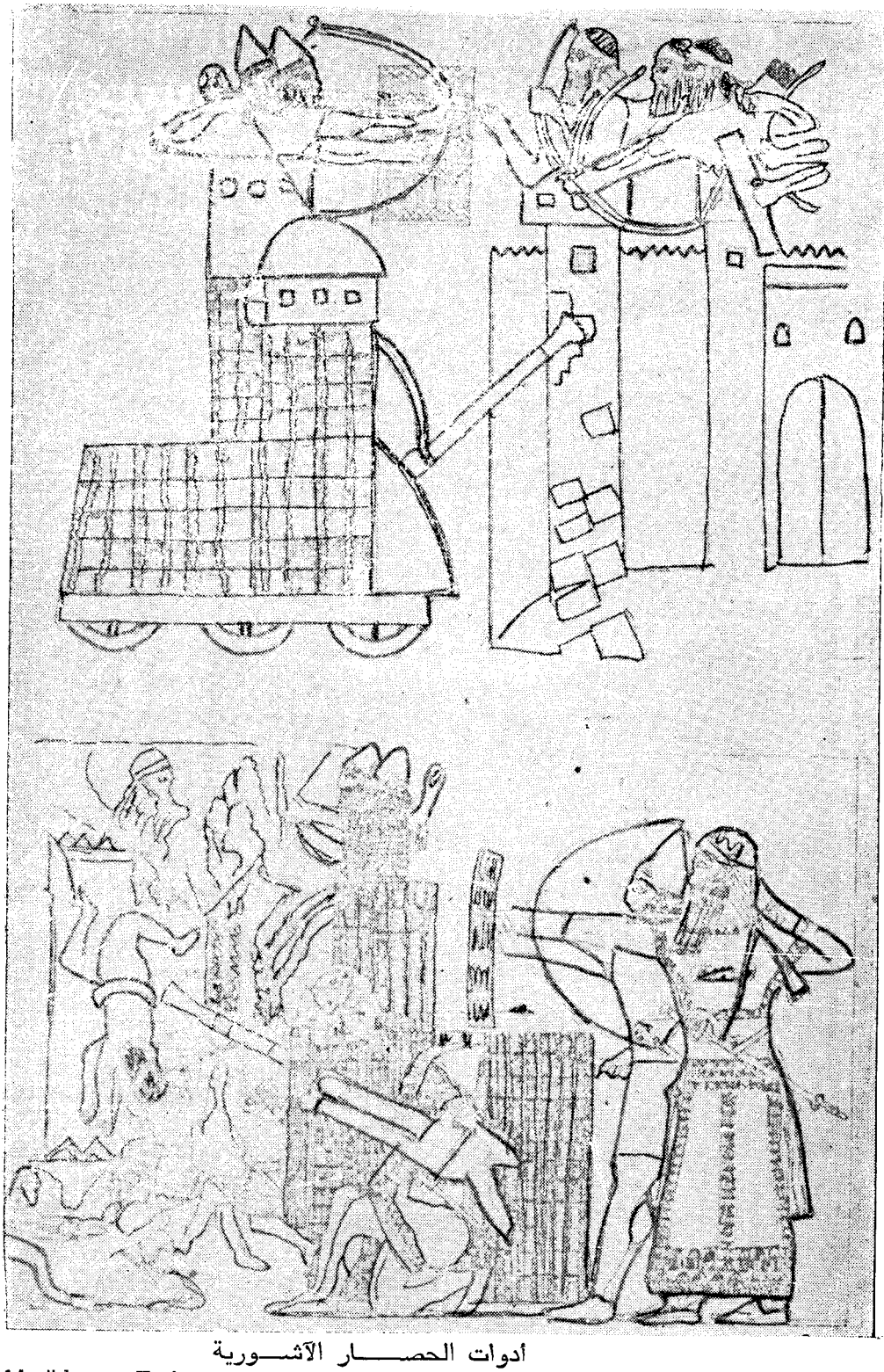

أدوات الحصـــــار الآشـــورية

عن : Madhloum, Tariq : Assyrian Siege - Engines, Sumer vol. XXI, A Journal of Archaeology and History in Iraq . 1965 Pl. I , A and B.

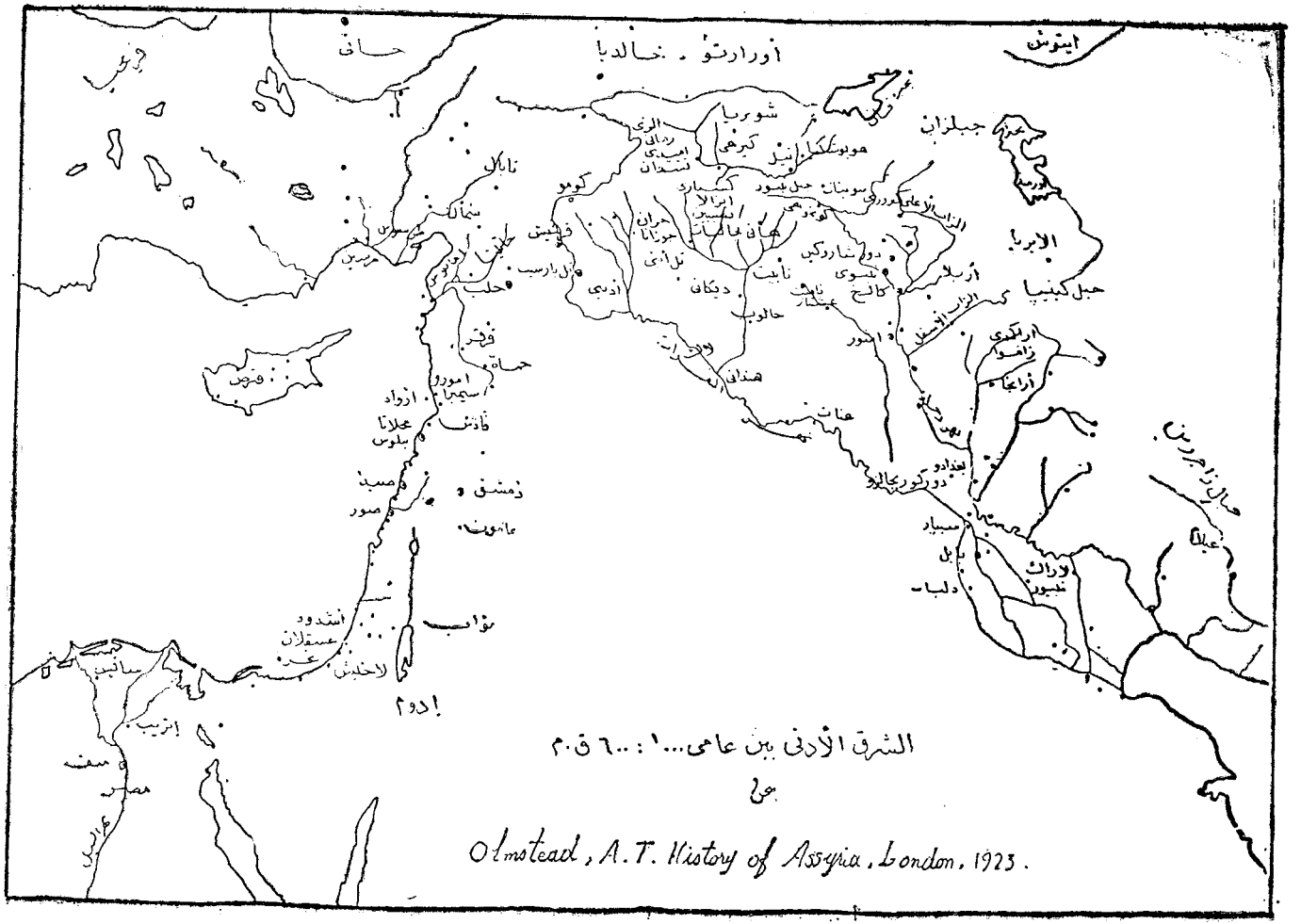
أورارتو - خالديا
ايتوش
حاتي
جبلزان
شوريا
كيرهي
هوبوشكيا
نابال
كوبو
الري
رماح
العربي
نشتان
الابر با
حبل كبنيا
أرزلاو
كالخ
نينوى
نابات
ديكان
حالوب
هدالي
عنات
أراكسي
زاموا
أراغا
بعقوبة
دور كوريجالزو
سيبار
بابل
دلبا
أوراك
نيبور
عيلام
جبال زاجروس
حلب
قرقر
حماة
امورو
سيمرا
أرواد
قادش
علانا
بيلوس
دمشق
صور
عاشوب
نواب
أشدود
عسقلان
عقرون
سانيبو
إدوم
إزيب
معون
عمالق
قبرص
الشرق الأدنى بين عامي ١٠٠٠ : ٦٠٠ ق.م
عن
Olmstead, A.T. History of Assyria, London, 1923.